تمثّلات الأمثال العربيّة في شعر الجواهري – مقاربة تداوليّة –

أ. بن لعيفاوي نورة♥
د. داود مسعود♥

استلم: 2025/07/16 مقبول: 2026/02/21 نشر: 2026/06/15

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-028-002-012

Representations of Arabic Proverbs in al-Jawahiri's Poetry -A Pragmatic Approach-

Abstract: The study shows that pragmatics focuses on context and elements of speech acts like speaker intention, listener traits, and communicative conditions, giving it an interdisciplinary scope involving linguistics and psychology.

It also reveals how Al-Jawahiri's poetry employs Arabic proverbs as symbolic and argumentative tools that enrich meaning evoke cultural memory, and create a persuasive poetic discourse rooted in the collective consciousness through the familiar and impactful nature of proverbs.

Keywords: Pragmatics; Proverbs; Al-Jawahiri's Poetry; Speech Acts.

♥ جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، مخبر الدراسات الصوتية والمعجمية،
noura .benlaifaoui@univ-alger2.dz.

♥ جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، messaoud.daoud@univ-alger2.dz

ملخّص: تظهر الدراسة كيف أنّ التداولية اهتمت بالسياق وبالعناصر المصاحبة للفعل الكلامي مثل نية المتكلم، وخصائص المخاطب وظروف التخاطب، مما منحها بعدا معرفيا تداخليا جمع بين اللسانيات والفلسفة وعلم النفس.

وقد أبرزت الدراسة الجانب التداولي في شعر الجواهري، من خلال استثماره للأمثال العربية كآلية حجاجية ورمزية، تكثف المعنى وتفعّل الذاكرة الثقافية للمتلقي، فالأمثال لا تستعمل في شعره لأغراض بلاغية فحسب بل تتحول إلى أدوات نقدية تؤسس خطابا شعريا تداوليا، وتضفي على الخطاب الشعري بعدا تأثيريا قويا نابعا من شيوع المثل وقوة حضوره في الوعي الجمعي.

كلمات مفتاحيّة: التداولية؛ الأمثال؛ شعر الجواهري؛ أفعال الكلام.

1. مقدّمة: شهدت الدراسات اللسانية منذ القرن العشرين تحولا ملحوظا تمثل في بروز اتجاهين أساسيين في دراسة اللغة، أحدهما صوري يهتم بالبنية الشكلية والآخر وظيفي ينظر للغة من زاوية استعمالها في السياقات التواصلية، وقد ركز هذا الأخير على تحليل الخطاب اللغوي من حيث سياقاته ومقاصده، وهو ما ساعد في تفسير العملية التواصلية بما يتجاوز النموذج البنيوي التقليدي، فاتحا بذلك آفاقا جديدة للبحث اللساني ،وتؤكد هذه الرؤية أن الخطاب لا يفهم فقط من خلال عناصره اللغوية بل من خلال علاقته بالمقام والاستعمال كذلك.

وانطلاقا من التصور التداولي للغة بوصفها نشاطا وظيفيا يتحدد من خلال السياق، تسعى هذه الدراسة إلى معالجة الإشكالية: ما مدى قدرة

الجواهري على توظيف الأمثال العربية في بناء خطاب شعري تداولي يتجاوز البعد البلاغي التقليدي، لنتج آليات حجاجية فعالة تنبع من بنية لغوية حيوية ذات تأثير دلالي تواصلي؟

وتنطلق هذه الدراسة من مجموعة من الفرضيات يمكن إجمالها فيما يلي:

1. إن الأمثال العربية في شعر الجواهري لا تستدعى لمجرد إضفاء طابع جمالي أو زخرفي، بل بوصفها أدوات تداولية تحمل وظائف حجاجية، تسهم في إنتاج المعنى وترسيخ القيم الثقافية داخل البنية الشعرية.

2. يدرج الجواهري الأمثال ضمن أفعال كلامية مقصودة، تتجاوز المعنى الحرفي نحو مقاصد بلاغية نقدية عميقة.

3. يلعب المتلقي دورا محوريا في تفعيل البعد التداولي، إذ تسهم خلفيته الثقافية وذاكرته الجمعية في كشف أبعادها الرمزية والمعرفية داخل الخطاب الشعري.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على مقاربة منهجية بين الوصف والتحليل، انطلاقا من فهم اللغة في سياقاتها التداولية بما يسمح برصد وظائفها البلاغية والحجاجية داخل النص الشعري.

2. التداولية المصطلح والمفهوم:

1.2 **التداولية لغة:** يرتبط مصطلح (التداولية) في السياق الغربي بكلمة (Pragmatique) المشتقة من الأصل اللاتيني (Pragmaticus) وهو بدوره مشتق من الجذر pragma الذي يدل على معنى (العمل) أو (الفعل).

أما في اللغة العربية، فإن الجذر (دول) يعود أصلا للمفهوم، حيث يستعمل للدلالة على التغيّر والتناوب في الأحوال والمواقف، فقد ورد في (أساس البلاغة) للزمخشري استخدامات متعددة لهذا الجذر منها: (دالت له الدولة)، و(تداولوا الشيء بينهم)، وغيرها من العبارات التي تعكس حركة الانتقال والتبادل، ما يشير إلى البعد الحركي والتفاعلي الذي تتضمنه التداولية في جوهرها[1].

وجاء في (لسان العرب لابن منظور): تداولنا الأمر أخذناه بالدُّول. وقالوا دواليك أي مُداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت، والله يُداولها بين الناس. وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة ... وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى عمل هذا مرة وهذا مرة[2].

يتّضح من دراسة الجذر اللغوي (دول) أن المعنى المحوري له يدور حول مفهومي الانتقال والتحوّل، ففي (**مقاييس اللغة**) يشير هذا الجذر إلى معنيين أساسيين: الأول يرتبط بالحركة وتغيّر المواقع، كما في قولهم (اندال القوم) أي انتقلوا من مكان لآخر، والثاني يُعبّر عن الضعف أو الاسترخاء، ومن المعنى الأول اشتُقّ فعل (تداول)، أي انتقال الشيء من يد إلى أخرى[3].

أما الفيروزآبادي، فقد ربط بين (تداولوه) و(أخذوه بالدُّوَل)، مفسّرًا ذلك بأنه تعاقب على الأمر أو انتقاله مرّة بعد أخرى.[4]

وبهذا فإن مختلف المعاجم تؤكد أن دلالة هذا الجذر ترتكز على مفاهيم الحركة والتناوب والدوران.

2.2 اصطلاحا: تركّز التداولية على دراسة اللغة في سياق استعمالها الفعلي، فهي لا تنفصل عن الظروف المحيطة بعملية التخاطب، مثل هوية المتكلم والمخاطَب، والمكان والزمان الذي يجري

فيه الحديث، إضافة إلى حضور أطراف أخرى أثناء الخطاب، والعلاقة الاجتماعية أو النفسية بين المتحدثين، فضلًا عن خلفيتهم الثقافية، كل هذه العناصر تسهم في توضيح نوايا المتكلم والمعاني المراد إيصالها، ولهذا السبب اعتبر رودولف كارناب (R.Carnap) أن التداولية تمثل الأساس الذي ينبغي أن تبنى عليه الدراسات اللسانية، نظرا لقدرتها على معالجة إشكالات لغوية استعصت على مناهج سابقة.[5]

تستمد التداولية أُسسها من ميادين معرفية متعددة، مما يجعلها مجالًا تقاطع فيه العديد من التخصصات، ويصعب حصر منابعها بشكل دقيق ،فكل مفهوم تداولي غالبًا ما يعود إلى خلفية معرفية خاصة به فمثلا نشأت نظرية الأفعال الكلامية في إطار الفلسفة التحليلية، بينما تعود نظرية الملاءمة ونظرية المحادثة إلى أعمال (بول غرايس/P.Grice) فقد خرجت من علم النفس المعرفي[6]، ونتيجة لهذا التداخل بين الفلسفة واللسانيات وعلم النفس، اتسمت التداولية بتعدد زوايا النظر إليها واختلفت تعريفاتها تبعًا لاختلاف انشغالات الباحثين ومناهجهم.، لذلك كانت ملتقى للكثير من النظريات المعرفية والفلسفية، مما أدى إلى تعدد تعريفاتها حسب اهتمامات الباحث.

إن الخوض في التداولية يضع الباحث أمام إشكالية ضبط المفاهيم وتحديد المصطلحات، وذلك نتيجة التداخل المعرفي القائم بينها وبين مجالات علمية أخرى قريبة منها، فقد أسهمت عدة تخصصات في تشكيل التصور التداولي، واستمدت منه مفاهيمه وأدواته، مما جعله يحظى باهتمام فلاسفة ومناطقة وسيميائيين، إلى جانب علماء النفس والاجتماع والتواصل واللسانيات. ومن هنا تعدّ التداولية فضاء خصبا يلتقي فيه عدد من الحقول المعرفية، ويتفاعل عبره التنظير اللساني مع

الفلسفي والسوسيولوجي والسيكولوجي، وهو ما يجعل الإحاطة بها تتطلب رؤية متعددة الزوايا.

وقد قدم مسعود صحراوي لها تعريفا واضحا بقوله إنها (مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها (الخطاب)، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية[7])، ولم يبتعد الجيلالي دلاش عن هذه التعاريف بقوله: (التداولية تخصص لساني يحدد موضوعه في المجال الاستعمالي أو الإنجازي لما نتكلم به، ويدرس كيفية استعمال المتكلمين للأدلة اللغوية أثناء حواراتهم وفي صب أحاديثهم، وفي خضم خطاباتهم، كما يعتني هذا التخصص بكيفية تأويل مستعملي اللغة لتلك الخطابات وتلك الأحاديث كما ويهتم أيضا بمنشئ الكلام، المتكلم، وكذا السياق[8]).

3. أهم المفاهيم التداولية: ترتكز اللسانيات التداولية على جملة من المفاهيم الأساسية التي تشكّل بنيتها النظرية، ومن أبرزها: نظرية الملاءمة، والاستلزام الحواري، ومتضمّنات القول، الحجاج، وأفعال الكلام.

1.3 متضمنات القول (Les inplicites):

- **متضمّنات القول:** تعدّ متضمّنات القول من المفاهيم التداولية الإجرائية التي تهدف إلى رصد الأبعاد الخفية وغير المصرّح بها في الخطاب، وهي أبعاد تتحكم فيها جملة من الظروف المحيطة بالفعل

التواصلي، مثل السياق والمقام والنية التواصلية، ومن بين أبرز هذه الظواهر نجد الافتراض المسبق(Présupposition)، الذي يقوم على وجود معرفة سابقة يتقاسمها المتكلم والمخاطَب، وتعتبر ضرورية لنجاح عملية الفهم والتواصل. هذا النوع من الافتراض يكون غالبًا مضمرًا في التركيب اللغوي ولا يصرّح به مباشرة. فعلى سبيل المثال، في كل من (أغلق النافذة) و(لا تغلق النافذة)، يفهم ضمنيا أن النافذة مفتوحة، وهو ما يمثل الافتراض المشترك الذي يبنى عليه الخطاب.

الافتراض المسبق (Présupposition):

الذي يقوم على وجود معرفة سابقة يتقاسمها المتكلم والمخاطَب وتُعتبر ضرورية لنجاح عملية الفهم والتواصل، هذا النوع من الافتراض يكون غالبًا مضمرًا في التركيب اللغوي ولا يُصرّح به مباشرةن فعلى سبيل المثال، في كل من الجملتين (أغلق النافذة) و(لا تغلق النافذة) يفهم ضمنيا أن النافذة مفتوحة، وهو ما يمثل الافتراض المشترك الذي يُبنى عليه الخطاب[9].

عندما ينتج المتكلم خطابه، فإنه ينطلق من افتراض ضمني بأن لدى المتلقي خلفية معرفية مسبقة تتعلّق بذلك الخطاب، وهو ما يعد من الأسس التي تقوم عليها نظرية الافتراض المسبق. ورغم أن هذا المفهوم يبدو في ظاهره مرتبطا بالمتكلم، إلا أن بيرلمان يمنح المتلقي مكانة محورية، بوصفه لا يكتفي بتلقي الخطاب، بل يشارك في بنائه وفهمه، فكل تواصل لساني لا يحدث لمجرد التلفظ، بل يتوخى غايات محددة، ويقوم على أرضية مشتركة من المسلمات تُشبه في طبيعتها عقدا ضمنيا يربط بين الطرفين.

وبذلك يصبح الافتراض المسبق ضرورة تواصلية قائمة على الاتفاق الضمني بين المتكلم والمخاطب.

- **الأقوال المضمرة (les sons –entendus):** تُعدّ الأقوال المضمرة نمطًا من متضمنات القول، يرتبط بشكل أساسي بسياق الخطاب ومقامه، بخلاف الافتراض المسبق الذي يستند إلى معطيات لغوية مستقرة داخل بنية الملفوظ.

وتتمثل الأقوال المضمرة في تلك المعلومات التي يحتمل أن يتضمّنها الخطاب دون التصريح بها مباشرة، إذ يبقى استنتاجها رهينا بالظروف المحيطة بالحدث الكلامي، فعلى سبيل المثال عندما يقال "إن السماء ممطرة"، فإن المتلقي قد يفهم منه دعوة إلى البقاء في المنزل، أو الإسراع إلى العمل، أو التريث في الخروج، وتختلف هذه التفسيرات حسب السياق والظروف المقامية التي يُنجز فيها الخطاب.

والفرق الأساسي بين هذا النوع من المتضمنات والافتراضات المسبقة، أن الأقوال المضمرة تتشكل داخل المقام الكلامي الحي، بينما تُبنى الافتراضات المسبقة على خلفية معرفية ثابتة يشترك فيها الطرفان.

2.3 الاستلزام الحواري (conversational implicature):

يُعدّ الاستلزام الحواري من أبرز المفاهيم التداولية وأكثرها ارتباطا بتحليل الخطاب، حيث أسهم في نقل البحث اللساني من التركيز على بناء نظريات عامة حول الخطاب إلى الاهتمام بكيفية تحقق التواصل ضمن ظروف فعلية، ويقوم هذا المفهوم على أن ما يفهم من الخطاب

لا يقتصر فقط على ما يقال صراحة، بل يشمل أيضا معاني ضمنية يستدل عليها من السياق ومن مبدأ التعاون بين المتخاطبين، وبذلك لم يعد الخطاب يُدرس كمنظومة مغلقة من الجمل، بل كعملية تواصلية تُنتج في سياق محدد وتفهم ضمن شروط تفاعل واقعي.

ويرتبط مفهوم الاستلزام الحواري ارتباطا وثيقا بأعمال الفيلسوف بول غرايس، الذي لاحظ أن عبارات اللغة الطبيعية قد تُستخدم في سياقات معينة، للإيحاء بمعانٍ غير تلك التي تُصرّح بها منطقيا. ويتجلّى ذلك من خلال حوار افتراضي بين أستاذين، حيث يسأل الأول عن مدى أهلية الطالب (ج) لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة، فيجيب الثاني قائلا إن الطالب "ج" لاعب كرة ممتاز.

هذه الإجابة تحمل بعدين دلاليين: أحدهما صريح يُفيد بأن الطالب متميّز في الرياضة، والآخر ضمني يُفهم من السياق، يوحي بأن الطالب لا يمتلك المؤهلات الفكرية المطلوبة لمواصلة الدراسة الفلسفية، وقد أطلق غرايس على هذه الظاهرة مصطلح الاستلزام الحواري، مؤكدا أن عملية التواصل اللغوي تخضع لمبدأ التعاون، الذي تنظّمه مجموعة من المسلمات الحوارية الضمنية، تتيح للمتلقي استنتاج المعاني غير المصرّح بها اعتماداً على السياق والمقام.

3.3 نظرية الملاءمة (Théorie de la pertinence): تُعدّ نظرية الملاءمة من النظريات التداولية ذات الطابع المعرفي، وقد طوّرها كل من (ديردر ولسن/ D.Wilson) و(دان سبربر/ D.Sperber) وهي تكتسب أهميتها من كونها تدرج ضمن العلوم الإدراكية، كما أنها تعد من أولى النظريات التي حددت بدقة موقع التداولية في الحقل اللساني، ولا سيما علاقتها بعلم التراكيب.

وتتميّز هذه النظرية بقدرتها على الجمع بين نزعتين تبدوان متعارضتين فهي من جهة تسعى إلى تفسير الظواهر التركيبية للملفوظات في مستوياتها المختلفة، ومن جهة أخرى تنطلق من رؤية معرفية إدراكية.

ويعود هذا الطابع المزدوج إلى اعتمادها على مشروعين نظريين متكاملين: أولهما ذو طابع نفسي معرفي مستند إلى النظرية القالبية التي قدّمها (فودور/ Fodor) عام 1983، وثانيهما مستمد من فلسفة اللغة، وتحديدا من النظرية الحوارية التي طوّرها (غرايس/ Grice) سنة 1975م[10].

4.3 الحجاج: يفهم الحجاج على أنه عملية تقديم حجج وأدلة تفضي إلى نتيجة معينة داخل الخطاب، حيث يبنى على تسلسل منطقي يسهم في إقناع المتلقي أو التأثير في موقفه. ويقوم الحجاج في جوهره على تنظيم أقوال تتوزع بين مكونات حجاجية تدعم الفكرة، ونتائج يراد الوصول إليها أو إثباتها وبالتالي فهو ليس مجرد عرض للمعلومات، بل ممارسة لغوية تسعى إلى إحداث تأثير معيّن في ذهن المتلقي من خلال منطق استنتاجي داخلي متماسك.

والقول بوظيفة اللغة الحجاجية يعني أن بناء الخطاب لا يتوقف فقط على ما تعبّر عنه الجمل من وقائع ومعطيات، بل يتعدّى ذلك إلى الطريقة التي تصاغ بها تلك الجمل، أي إلى البنية اللغوية للأقوال والوسائط التعبيرية الموظّفة فيها، ففعالية الحجاج لا تتعلق بالمضمون فحسب، وإنما ترتبط أيضاً بالأدوات اللغوية التي تستعمل في توجيه المعنى، وترتيب الحجج، وتحقيق الإقناع داخل الخطاب.

انطلاقا مما سبق، يتبيّن أن الخطاب الحجاجي لا ينفصل عن طبيعة التفاعل بين المتكلم والمتلقي، إذ لا يعد الخطاب حجاجيا بحق إلا إذا استوفى شروط التفاعل التي يمليها المقام التداولي، من حيث التوجه إلى الآخر ومراعاة إمكانيات الرد والاعتراض، فكل منطوق يتضمن دعوى موجهة إلى الغير، ويتوقع منه أن يحدث أثرا في موقفه، يدخل في دائرة الحجاج، ومن هنا لا ينظر إلى الحجاج كعنصر طارئ على الخطاب، بل كخاصية أصيلة فيه، تؤثر في بنائه ووظيفته وهدفه، ولعل هذا الإدراك هو ما دفع البلاغة الجديدة إلى إعادة الاعتبار للحجاج، باعتباره جوهرا تواصليا لا غنى عنه في تحليل الخطاب وفهم آلياته التأثيرية.

5.3 أفعال الكلام: تقوم نظرية أفعال الكلام على فكرة مركزية مفادها أن الملفوظات لا تقتصر على نقل المعلومات أو وصف الواقع، بل تُستخدم لأداء أفعال لغوية داخل سياقات تواصلية محددة، فالكلام في جوهره ليس مجرد تقرير للحالة الراهنة، بل هو فعل يتم إنجازه بواسطة اللغة، وقد يكون هذا الفعل صريحا كما في الأمر المباشر أو ضمنيا يفهم من السياق والمقام، ويسهم السياق الاجتماعي بدور حاسم في تأويل هذه الأفعال وتحديد ما إذا كانت تعبّر عن أمر أو نهي أو استفهام أو غيرها من الوظائف التداولية التي تستمد معناها من علاقة المتكلم بالمخاطب والظروف المحيطة بالخطاب.

وقد صنفها J.Searle كالآتي:

أ- **الأفعال التصويرية (Représentatives):** إن هدف أو غاية أعضاء الفئة التصويرية هو تعهد المتكلم (بدرجات متنوعة) يكون تنبئا

ما حقيقة واقعة، ويصدق القضية المعبر عنها، وجميع أعضاء هذه الفئة قابلة للتقويم في حدود الصدق أو الكذب[11].

تندرج الأفعال التصويرية ضمن الأفعال الكلامية التي تسعى إلى مطابقة ما يقال مع الواقع، أي أن اتجاهها يكون من اللغة نحو العالم وتعكس هذه الأفعال موقف المتكلم الذهني خاصة في ما يتعلق بالاعتقاد أو الحكم أو التقرير بشأن حالة ما، ويعد الاعتقاد – هنا – تعبيرا عن موقف نفسي، غير أنه ليس دائما محددا بدقة إذ قد تكون درجة الالتزام به متفاوتة، بل وقد تقترب من الصفر.

وتشمل هذه الفئة عددا كبيرا من الأفعال التي تستخدم لتفسير الواقع أو إصدار حكم بشأنه، كما هو الحال في تصنيف أوستين، حيث تندرج تحتها أغلب الأفعال التقريرية والتفسيرية.

وتمتاز الأفعال التصويرية بإمكانية التحقق من صدقها أو كذبها بشكل مباشر، مما يجعلها تخضع لاختبار الحقيقة في الخطاب التداولي.

ب- الأفعال التوجيهية (Directives): تندرج الأفعال التوجيهية ضمن الأفعال الكلامية التي يسعى المتكلم من خلالها إلى التأثير في سلوك المخاطَب، بهدف دفعه إلى القيام بفعل معيّن في المستقبل، وتتنوع درجات هذا التأثير من حيث القوة واللين، فقد يأتي بصيغة اقتراح أو تشجيع، كما قد يكون بصيغة إصرار أو طلب ملح.

ويتجه هذا النوع من الأفعال من العالم إلى الكلمات، إذ يعبّر المتكلم عن رغبة أو أمنية في أن ينجز المخاطب فعلا معينا، ويشترط فيها عنصر الإخلاص، أي أن تكون لدى المتكلم رغبة حقيقية في تحقيق الفعل المطلوب، وتتضمّن هذه الفئة عددا واسعا من الأفعال مثل: أطلب، أنصح، أرجو، ألحّ، أستعطف، أجيز، أشجّع، وغيرها.

ومن الملاحظ أن بعض الأفعال التي صنّفها أوستين ضمن الأفعال السلوكية، مثل (أعترض) أو (أتحدث)، يمكن النظر إليها كتوجيهية في ضوء هدفها التأثيري، كما أن بعض الأفعال المرتبطة بالممارسة العملية تدخل ضمن هذه الفئة لكونها تستهدف تغييراً في سلوك المتلقي.

ج- **الأفعال الالتزامية (Commissives):** يرى سيرل أن تعريف أوستين للأفعال الالتزامية بالغ الدقة من حيث المبدأ، إلا أنه يلاحظ – وإن اعتبر ملاحظته بسيطة – أن بعض الأفعال التي أدرجت ضمن هذه الفئة لا تنتمي إليها بدقة، مثل (سوف) و(أقصد)، لأنها لا تعبّر بوضوح عن التزام فعلي من المتكلم.

وتعد الأفعال الالتزامية من الأفعال الغرضية التي يلتزم من خلالها المتكلم بالقيام بفعل مستقبلي، بدرجات متفاوتة من القوة كأن يعد أو يتعهد أو يعرض أو يقسم، فالمتكلم في هذه الحالة لا يكتفي بإبداء موقف، بل يقحم ذاته في التزام سلوكي أو فعلي تجاه المستقبل.

د- **الأفعال التعبيرية (Expressives):** تستخدم الأفعال التعبيرية للتعبير عن حالة نفسية أو شعورية يمر بها المتكلم وهي مشروطة بالإخلاص، أي أن يكون المتكلم صادقا في التعبير عن تلك الحالة. وتتميّز هذه الأفعال بغياب اتجاه المطابقة الذي نجده في غيرها من أصناف أفعال الكلام، فهي لا تسعى إلى مطابقة الكلمات للواقع أو العكس، بل تفهم على أساس أن صدقها مفترض ضمنا.

ومن أمثلة هذه الأفعال: أشكر، أعتذر، أهنئ، أرحب، أحذر... وهي تستخدم للتعبير عن مواقف وجدانية محددة تجاه حدث أو شخص، دون أن يكون الهدف منها تغيير الواقع بل التعبير عنه فقط.

ه- أفعال التصريحات (Déclaration): تتميّز هذه الفئة من الأفعال بقدرتها على إحداث تغيّر في الواقع من خلال القول ذاته شريطة أن يتم الأداء في ظروف مؤسساتية مناسبة، وأن يُنجز الفعل من طرف شخص يمتلك الصلاحية لذلك، فنجاح الفعل التصريحي يخلق نوعا من التطابق بين ما يُقال وما يُصبح عليه الواقع الخارجي وبمعنى آخر، إذا أُنجز الفعل بنجاح فإن محتواه يصبح واقعا فعليا، فإذا عيّنت شخصا في منصب ما أو أعلنتُ بداية حالة طوارئ، فإن القول ذاته هو الذي ينشئ الوضع الجديد وليس مجرد وصف له، وهكذا فإن العلاقة بين القول والواقع في هذه الأفعال ليست علاقة إحالة أو تمثيل، بل علاقة إنجاز مباشر لفعل يغيّر الوضع القائم[12].

ومن الخصائص اللافتة في أفعال التصريحات أن البنية السطحية للجملة لا تكشف بشكل مباشر عن الفرق بين المحتوى القضوي (أي مضمون القول) والقوة الغرضية (الوظيفة الإنجازية للفعل)، فالصيغة النحوية الظاهرة قد تبدو عادية، لكنها تخفي خلفها فعلا لغويا يحدث تغييراً في الواقع، ويؤدي هذا الغياب للتمييز الظاهري إلى صعوبة فصل ما يراد الإخبار عنه، عمّا يراد إنجازه بالفعل ذاته، مما يجعل تفسير هذه الأفعال مرهونا بالسياق المؤسساتي والسلطة التي يمتلكها المتكلم، لا بمجرد البنية التركيبية الظاهرة.

4. تداولية المثل في الديوان: تُعدّ الأمثال من أعرق أشكال التعبير في النثر العربي، لما تحمله من تركيز لغوي ودلالة ثقافية عميقة، فهي في أصلها أقوال موجزة تناقلتها الألسن شفاهة، حتى أصبحت جزءاً من الذاكرة الجمعية.

ويتمثل جوهر المثل في كونه تعبيرا قصيرا لكنه مشبع بالمعنى يختزن تجربة إنسانية أو حكمة، ويستحضر في مواقف جديدة تشبه الظروف التي قيل فيها أول مرة، ويبنى المثل على علاقة تناظرية بين المورد (القصة الأصلية التي نشأ منها) والمضرب (الموقف الجديد الذي يضرب فيه)، ما يجعل فهمه رهينا باستيعاب خلفيته وسياقه الثقافي واللغوي.

ولأن آلية أفعال الكلام تستند إلى فرضية أساسية مفادها أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل المعلومات، بل هي فعل منضبط بقواعد تداولية تهدف إلى التأثير في المتلقي، سواء على مستوى إدراكه أم منظومته الاعتقادية والسلوكية. ومن هذا المنطلق فإن المثل يعد شكلا لغويا يحمل في طياته قدرة عالية على إنجاز أفعال كلامية غير مباشرة، يتضح مفعولها في ضوء السياق الذي يستخدم فيه، فاختيار المثل داخل الخطاب ليس عشوائيا، بل يمثل تجليا للكفاءة التداولية، لما يتميز به من اختزال في الدلالة، وصدق في تمثيل الواقع الاجتماعي والفكري، ما يجعله أكثر فاعلية من غيره في نقل الفكرة والتأثير في المتلقي.

إن المثل بما يحمله من شحنة رمزية وتراكم ثقافي، يُضفي على النص الشعري ثراء لغويا وجماليا، ويمنحه بعدا تداوليا يمتد في الزمن لهذا لم يكن المثل مجرد تعبير عابر، بل أصبح جنسا أدبيا قائما بذاته يجمع بين العمق الدلالي والبساطة الظاهرية، مما جعله الأقرب إلى الوجدان، والأكثر حضورا في الذاكرة، والأقدر على الاستمرار في التداول الشعري والنثري على حد سواء.

وبالعودة إلى ديوان الجواهري، يتبيّن بوضوح حضوره اللافت للأمثال العربية ضمن نسيجه الشعري، حيث عمد إلى توظيفها أو

الإشارة إليها في سياقات متعددة، ما يضفي على نصوصه عمقا دلاليا وإيحاء ثقافيا لافتا.

إن استدعاء المثل داخل القصيدة لا يتم بشكل اعتباطي، بل يعكس وعياً لغوياً وثقافيا رفيعا، ويكشف عن تمكن الشاعر من أدوات التعبير الشعبي العميق. ومن ثم فإن تضمين الأمثال في شعر الجواهري لا يُعد مجرد تزيين لغوي، بل يمثل استراتيجية خطابية تثري المعنى وتضاعف من أثر النص لدى المتلقي، نظرا لما تحمله الأمثال من كثافة رمزية وتجذر في الذاكرة الجماعية.

ومن النماذج الدالة على هذا التوظيف – على سبيل المثال لا الحصر – قول الجواهري:

كوني بغاثا واسلمي بالنفس ثم استنسري[13]

للإشارة إلى المثل: (إن البغاث بأرضنا يستنسر)

1- شرح المثل: البغاث: طائر صغير ضعيف، مفردها بغاثة، ويستنسر: يصير نسرا والنسر من أقوى الجوارح، ويطلق هذا المثل على واقع زائف المتسلقون الضعفاء فيه يصبحون سادة.

2- التحليل التداولي:

المتكلم: الجواهري

المخاطَب: طراطير السياسة الطبقة السياسية التي تتقمص دور البطولة والقوة زيفا وكذبا.

(كوني بغاثا واسلمي بالنفس ثم استنسري)

الأفعال الكلامية (كوني) و(اسلمي) و(استنسري) أفعال توجيهية ظاهرها نصح وباطنها تهكم ساخر، والغرض الحقيقي منها هو تحقير وفضح المخاطب.

الجواهري في هذا البيت يستدعي المثل ضمنيا، ثم يقلب بنيته، فلو حولنا القول إلى فعل كلامي مباشر نقول: أنتم أذل المخلوقات، فقد أبدى الشاعر سخطه على ما آلت إليه السياسة وسخريته من السياسيين الذين يتسابقون نحو السلطة ويتباهون بها وكأنه يقول: لهم أنتم لا تستحقون حتى التظاهر بالقوة، فالذل أصل فيكم ليكون المثل في إطار تداولي سياسي يصبح فيه (البغاث) رمزا للنخبة الحاكمة المتسلقة و(استنسر) فعلا مستحيلا قيل بسخرية لا بتحفيز.

ونجد مثلا آخر في قوله:

عاش الحياة يصيد في متكدر منها ويخبط في دجاها حاطبا[14]

للإشارة إلى المثل: (أخبط من حاطب ليل)

1- شرح المثل: الحاطب في الليل لا يرى ما يجمعه فقد يمسك حية أو شجرة ... ويضرب هذا المثل فيمن يعمل بعشوائية دون تبصر.

2- التحليل التداولي:

المتكلم: الجواهري الناقد.

المخاطب: أحد السياسيين العراقيين.

الأفعال (يصيد) و(يخبط) أفعال إخبارية تقويمية تهكمية فالجواهري لا يخبر فقط بل يقيم سلوك هذا السياسي ويصدر حكما ساخرا عليه وبإسقاط البيت الشعري على المثل العربي فالمثل يقال لمن يتصرف بعشوائية وتهور ويؤدي وظيفة تداولية هي التشويه الرمزي للفاعل، أما البيت الشعري الذي أورده الجواهري (يخبط في دجاها حاطبا) لا يسقط من المثل معنى العشوائية فقط بل يتعداها إلى الانتهازية والاستفادة من الفوضى والعشوائية، أي أن هذا السياسي حسب

الجواهري لا يعمل عشوائيا فقط بل يتصدر الخوض في العفن السياسي لاصطياد المصالح.

يقول الشاعر:

إذا قيل من أرض العراق تطلعت عيون له وانهال أهل ومرحب

يحكم في الجلى أغـــــــــــــــــــر

مشهـــــــــــــــــــر يحتاج في البلوى عذيق مرجب[15]

تداخل النص الشعري مع المثل العربي: (أنا جذيلها المحكك وعذيلها المرجب).

1- شرح المثل: (جذيلها المحكك) هو عود الشجر الذي تحتك به الابل لحك جسمها وهو ما يدل على الخبرة والكفاءة والمكانة.

(عذيلها المرجب) هو الفرع العالي من النخلة، يستعان به في كثير من الأمور، ويضرب هذا المثل لمن يرى نفسه جديرا بالريادة والقيادة ويعتمد عليه في الشدائد.

2- التحليل التداولي:

المتكلم: الجواهري في موقف نقدي ساخر.

المخاطب: الجمهور.

الشاعر هنا يفعل المثل العربي: (أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب) لكن بطريقة عكسية فالمثل يطلق للفخر بالذات، أما عند الجواهري فقد استدعي المثل ضمنيا لابراز غياب هذه الشخصية القوية وافتقادها في موضع القيادة.

أي أن الشاعر يستخدم الذاكرة الثقافية للمتلقي فيسقط مفاهيم المثل العربي على الواقع السياسي.

وبالتالي هذا البيت يثير لدى المتلقي التساؤل عما إذا كان القائد اليوم فعلا هو أهل لذلك، كما يحرك الوعي التقييمي تجاه من يفترض ان يعتمد عليه في الصعاب والشدائد.

والفعل الكلامي في هذا البيت تقويمي توجيهي يهدف الى نقد الواقع وابراز المفارقة بين الظاهر والجوهر، من خلال استراتيجية خطابية تستثمر المثل العربي باعتباره مخزونا ثقافيا، وتدفع المتلقي لإعادة النظر في معاييره حول من يستحق السلطة والتقدير.

5. خاتمة:

لقد شكلت الأبيات المدروسة أنموذجًا مميزًا لما يمكن أن نسميه بـــ"التكثيف التداولي" في شعر الجواهري، حيث استطاع هذا الأخير أن يُفعّل التناص مع الأمثال العربية توظيفًا وظيفيًا لا زخرفيًا، محولًا الخطاب الشعري إلى بنية نقدية حجاجية متماسكة. ومن خلال استدعاء الأمثال، انفتح النص على أفق ثقافي وجمالي أرحب، حيث أضحت الصورة الشعرية أداة لإنتاج المعنى، ولإيصال مواقف ضمنية ذات بعد نقدي وفكري عميق.

فالمثل في هذا السياق لا يؤدي وظيفة تشبيهية فحسب، بل يتحوّل إلى وسيلة للكشف عن حقائق يومية مألوفة، وإعادة صياغتها في إطار رمزي مكثّف، يجعل منها لحظة تأمل مفعمة بالدلالة.

ولأن المثل يختزن تجربة جماعية ويعتمد على الذاكرة الثقافية للمتلقي، فإنه يحظى بقوة تأثير استثنائية، تمنحه مكانة متميزة في الحقل

التداولي للنص الشعري، وتجعله أحد أهم العناصر التي تضمن له البقاء والتجدد في الوعي الجمعي.

6. قائمة المراجع:

1-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 2004م.

2-ابن فارس، مقاىيس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان دط، دت، المجلد 2.

3-الجيلالي دلاش، في اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

4-الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1،1966م.

5-صلاح اسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 1993م.

6-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2004م.

7-الفيروز أبادي، تح: أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتاب الحديث، القاهرة دط، دت.

8-محمد مهدي الجواهري، ديوان الجواهري في العيون من أشعاره، دار طلاس ط 4، 1998م.

9- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية "في التراث اللساني العربي، دار الطبعة، لبنان، ط1، 2005م.

7. هوامش:

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1966م، ج1 ص 288.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 5،2004م/252.

[3] ابن فارس، مقاىيس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت دط دت، المجلد2، ص314.

[4] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، دط، دت، ص1014.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2004م، ص 23.

[6] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، دار الطبعة، بيروت، ط1، 2005م، ص17.

[7] نفسه، ص3.

[8] الجيلالي دلاش، في اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص9.

[9] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 30،31.

[10] نفسه، ص38.

[11] صلاح اسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 1993م، ص232.

[12] نفسه، ص234.

[13] الجواهري، ديوان الجواهري، دار طلاس، ط4، 1998م، ص 224.

[14] نفسه، 567/3.

[15] نفسه، ص57.